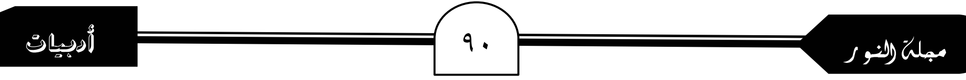
(c) www.nidaulhind.com



الشعر والشعراء في كيرالا

عبد الرحيم بن إبراهيم الفيضي م. ك.
محاضر قسم اللغة العربية كلية ب. ت. م. الحكومية،برينتالمنا.

كيرالا ولاية صغيرة في جنوب الهند. وكانت معروفة عند العرب باسم مليبار منذ زمان قديم. ولما تولدت في الهند ولايات حسب اللغات المحلية صارت المنطقة التي يتكلم أهلها بلغة ملايالم ولاية جديدة سنة ١٩٥٦م باسم كيرالا.

علاقة كيرالا بالعرب:

يرجع تاريخ علاقة كيرالا العربية الى عهد سليمان عليه السلام. اذ كان يجلب العاج والقرد والطاؤوس والصندل من ميناء أوفير وترتيش المذكورتين في التوراة. وقد أثبت بعض مفسري التوراة أن هذه العلاقة التجارية لسليمان عليه السلام كانت مع الهند. والمؤرخ الهندي الدكتور تارا تشاند يرى أن أوفير هي ميناء بيفور القريبة من كاليكوت. واستمرت هذه العلاقة بعد سليمان عليه السلام أيضا بيد الفينيقيين واليونان والصابئين. واليونان اشتروا الزنجبيل والفلفل والقرنفل من كيرالا من القرن السادس قبل الميلاد.

نداء الهند

والفلفل الأسود الذي كان لا يزرع الا في كيرالا كان مشهورا عند العرب من قديم. والشاعر المشهور الجاهلي امرؤ القيس (٥٠٠- ٥٤٠م) قد استعمل هذه الكلمة في بعض أشعاره قائلا :

ترى بعر الآرام في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

والشاعر عنترة العبسي (٥٢٥-٦١٥م) يشبه سواد شعر أمه بالفلفل الأسود بقوله:

أنا ابن سوداء الجبين كأنها ذئب ترعرع في نواحي المنزل

الساق منها مثل ساق نعامة والشعر منها مثل حب الفلفل

(c) www.nidaulhind.com

وقد جاء في شعر امرئ القيس أيضا كلمة قرنفل الذي هو أيضا من المواد الزراعية لأهل كيرالا، وذلك في قوله:

اذا قامتا تضوع المسك منهما نسيم الصبا جائت بريا القرنفل

الشعر العربي في كيرالا:

إن أول قصيدة وجدت لأهل كيرالا هي تخميس البردة للقاضي أبي بكر بن رمضان الشالياتي المتوفى سنة ٨٩٥هـ/١٤٩٠م. وله تخميس أيضا في قصيدة بانت سعاد. وتلمذ منه الشيخ زين الدين بن علي المعبري المتوفى سنة ٩٢٨هـ/١٥٢٢م وصنف كتبا كثيرة نظما ونثرا. ومن منظوماته هداية الأذكياء الى طريقة الأولياء، وتحريض أهل الإيمان على جهاد عبدة الصلبان. وهذان الشاعران العبقريان يعرفان من أوائل الجيل الأول من شعراء كيرالا العربية. ثم جاء القاضي محمد بن عبد العزيز المتوفى سنة ١٠٢٥هـ/١٦١٦م. وله منظومات في مقاصد النكاح وقصيدة في بيان الحرب الشديدة بين الملك السامري وبين الإفرنج حيث اشترك المسلمون مع السامري حماية لوطنهم.

والجيل الثاني يبتدأ من عصر السيد شيخ جفري المتوفى سنة ١٢٢٢هـ/١٨٠٢م، ومن الشعراء العباقر من هذا الجيل القاضي عمر بن علي البلنكوتي المتوفى سنة ١٢٧٣هـ/١٨٥٢م والقاضي أبو بكر بن محي الدين الكاليكوتي والقاضي محي الدين بن علي الكاليكوتي وأمثالهم.

أما الجيل الثالث من شعراء كيرالا فكان في مقدمتهم أبو ليلى محمد بن ميران ومحمد الفلكي الجمالي، والمولوي أبو الرحمة محمد الفيئي. ومن الشعراء المجيدين في هذا الجيل عبد الله بن محمد النوراني وعبد القادر الفضفري وأمثالهما.

ومن الشعراء الكبار في العصر الحديث سعيد بن بكار اليدفاعي والقاضي السيد حسين بن محمد وأحمد الشعراني وعبد القادر الفضفري وعبد الرحمن بن محمد الكانياتي ومحمد أبو الكمال الكاديري وعلي بن فريد الكشنوري وأبو سلمى محمد جمال الدين وعبد الله بن محمد النوراني ومحمد بن كنج أحمد الكوتلنغادي وأبو رشيدة أبو بكر الحكيم وكنجامو من بابا البالكي وعبد الرحمن بن محمد الفضفري ومحمد بن أحمد الكدنجي وأبو بكر بن كنج محمد المدفتوري ومحمد أبو الصلاح

(c) www.nidaulhind.com

الباقوي وأبو بكر بن محي الدين التامرشيري وكويامو بن أحمد الشعراني والأستاذ عبد الرحمن الأريكليى الأستاذ السابق بكلية الرحمانية الكدميري والأستاذ ك. ت. محمد مانو مسليار الأمين العام لهيئة التعليم الديني الإسلامي بعموم كيرالا (SKIMVB) سابقا وعبد الرحمن الكريادي ومحي الدين بن علي وأبو بكر الفرمدفي وعبد الرحمن الكدفلي وأحمد بن كنج أحمد الكدفتوري وعيسى المدني وغيرهم من الشعراء الكبار.

وهناك كثير من الشعراء المعاصرين الذين لا يزالون يقدمون خدمات جليلة في مجال التطور الشعر العربي في كيرالا. ومن أشهرهم المولوي علوي كوتي الكوتوري والجابر الفلكي ومحي الدين الوانميلي وبشير الفيضي الجيكوني وما الى ذلك.

موضوعات الشعر العربي في كيرالا:

ومن موضوعات الشعر العربي في كيرالا المديحات والترحيبات. وكان الشعراء من قديم يمدحون بالأشعار العربية العلماء والأمراء الذين يفدون إليهم ضيوفا أو زوّارا من خارج بلاد الهند. وحاليا يقدم الى كيرالا كثير من العلماء والأمراء العرب وغيرهم للإشتراك في المحافل السنوية للمعاهد المختلفة بها ولزيارة البلد وغيرها من الأغراض فيستقبلهم الكيراليون استقبالا حارا وينشدون أمامهم أناشيد ترحيبية يقرضها شعراءهم. ومن أحسن من قرض في هذا الموضوع الفلكي وأحمد كوتي الكدوتوري ومحي الدين علي وغيرهم.

ومنها المراثي. ولها شهرة عميقة بين العلماء والعوام. لأن موت الأقرباء والعظماء حرض الشعراء على ذكر محاسنهم فقرضوا ما في نفوسهم من هذه العاطفة الحزينة وأرسلوها الى المقربين. وللمراثي شهرة عميقة بين الكيراليين من قديم الزمان. وهي أقدم الموضوعات الشعرية فيها كما كانت من الأنواع المؤثرة عند العرب. وكانت هذه المراثي تكتب على جدران المساجد أو يعلق عليها كي يطلع عليها من يحضرها. ومن الشعراء المجيدين في الرثاء أبو ليلى والفيئي والفلكي والفضفري والسيد حسين بن محمد والمولوي محمد أبو الكمال الكاديري وأحمد الكدوتوري و س. ب. أبو بكر مولوي وك. و. عبد الرحمن مولوي ومولوي علوي كوتي الكوتوري وغيرهم.

(c) www.nidaulhind.com

والمراسلات الشعرية أيضا من الأشعار الهامة في كيرالا. وكانت هذه المراسلات عادة قديمة بين العلماء المتذوقين في الشعر وراسلوا فيما بينهم في الشعر المقفى. وكانوا يرون فيها نوعين من التمتع- تمتع الإخبار وتمتع الذوق الأدبي-. وفي مقدمة هذا القبيل القاضي أبو بكر بن محي الدين الكاليكوتي والفلكي وأبو ليلى والفضفري وأبوسلمى وغيرهم. أما الهجاء فهو من أقل البواعث الشعرية عند أهل كيرالا. وشعر الهجاء قليل بين الأشعار الكيرالية. اللهم الا عند المهاجمة والعدوان الشديد والمدافعة الدينية والإختلافات الحزبية بين الشعراء.

وفي الجملة توجد في الأشعار العربية في كيرالا جميع أنواع الشعر العربي. وقد تطورت الأشعار العربية في كيرالا تطورا كبيرا. وكان شعراء كيرالا يتعارفون مع الشعراء العرب المعاصرين لهم والمتقدمين. ولكن للشعر العربي في كيرالا مشاكل وموانع تكفها عن النمو والتطور. منها عدم التسهيلات للنشر وقلة المنشورات العربية. وليس هنا مجلات أو صحف تنشر أشعارهم بأهميتها إلا قليلا جدا. لأن للصحف والمجلات يد طولى في نشر أي أدب في المجتمع.

وعلى الرغم من العوائق قد تعمقت عروق الشعر العربي في بقاع كيرالا. وقد كثر في الشعر العربي في كيرالا الأناشيد العربية تنشد بها طلاب المدارس. ولا يخلو مدرسة أو كلية عربية أو جمعية أكادمية أو إجتماعية أو دينية من هذه الأناشيد حين يقدم إليها الضيوف الكرام في محافلها السنوية. وكان معظم شعراء كيرالا يتبعون أسلوب الشعر القديم وليس فيهم من يقول الشعر المرسل كما يوجد في الشعر العربي المعاصر، اللهم الا القليل المحدثون مثل الدكتور محمد عبد الرشيد وموسى أيرور في بعض أشعارهما نادرا.

(c) www.nidaulhind.com

نموذج من الشعر العربي في كيرالا:

القصيدة العمرية في المدائح النبوية:

ولا تتم هذه المقالة إلا بذكر بعض النماذج من الشعر العربي في كيرالا. فأسرد هنا الأبيات للشاعر المفلق القاضي عمر البلنكوتي المأخوذة من القصيدة العمرية في المدائح النبوية. وقد بدأ هذه القصيدة بالصلاة والسلام المضمونة فيهما أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم مقتبسا من القرآن ويقول:

صلى الإله على ابن عبد الله ذي   خلق بنص الله كان عظيما

فظا غليظا لم يكن بل لينا   برا رؤوفا بالمؤمنين رحيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ويذكر الشاعر واقعة المعراج النبوي ويقول:

في قاب قوسين دنى أو قربا   من ربه هذا النبي المجتنبى

فرآه عينا وفؤادا مرحبا   فسقاه كأس محبة تسنيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

ثم يقص الشاعر قصته من أنه جاء من بلد بعيد راجيا زيارة روضة النبي صلى الله عليه وسلم، وقلبه مشغوف الى زيارتها ولكن القانون يمنعه والحراس ينكرون فتح الباب، فالشاعر يفتح قلبه أمام النبي صلى الله عليه وسلم ويبدي أحزانه ويقول:

يا أكرم الكرما على أعتابكم   عمر الفقير المرتجي لجنابكم

يرجو العطاء على البكاء ببابكم   والدمع في خديه سال سجيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

لا من كريم مثلكم للمرتجي   فيمن مضى قبل ولا فيمن يجي

وأنا اللهيف فكربة لي فرج   حيران من ذنبي أسفت كظيما

صلوا عليه وسلموا تسليما

(c) www.nidaulhind.com

ما جف دمع سال من عينين لكنه يجري على الخدين
من حب قلبي سيد الكونين حيا وميتا في التراب رميما
صلوا عليه وسلموا تسليما
اذ جئت طيبة روم زورة قبره فهناك قمت أشم ريا نشره
أغميت مدهوشا لهيبة قدره حبا وإن كنت المسيئ أثيما
صلوا عليه وسلموا تسليما

والشعر العربي في كيرالا روضة مزدانة وضع أساسها القاضي أبو بكر بن رمضان الشالياتي ونمت وازدهرت بإرواء القاضي عمر بن علي البلنكوتي والقاضي أبي بكر بن محي الدين الكاليكوتي وأمثالهما. وأثمرت فيها ثمار يانعة في عصر فحول الشعراء ولا تزال مورقة مخضرة في العصر الحديث.

نداء الهند